مجتمع منفتح ومتعدِّد؟ رسائل عبر الانترنت

ليس الشعبُ الأميركيّ، كما يتوهَّم عشَّاقُ أميركا من العرب المتدقرطين، مغرمين كلّهم بحريَّة الفكر وحقّ الاختلاف. وقد جاءت أحداثُ ١١ أيلول لتعمِّق كراهيةَ قسم من المجتمع الأميركيّ للأجانب وللرأي المعارض للحرب. في ما يلي رسائلُ تلقّاها أحدُ كتّاب الآداب أسعد أبو خليل، أستاذُ العلوم السياسيَّة في جامعة ولاية كاليفورنيا في ستانسلاس، عقب مقابلةٍ أُجريتْ معه في محطة فوكس، وفيها شَجَبَ الحربَ الأميركيَّة ضدّ أفغانستان وأكّد استهدافَ الصواريخ الأميركيَّة للمدنيِّين العزّل. ويلاحَظ أنَّه حين قامت كيرستن شايد، وهي أيضًا من كتّاب الآداب، بانتقاد أساليب مهاجمي أبي خليل، وذلك في رسالة مفتوحة على الانترنت، هاجموها هي أيضًا بخطاب مماثل، مع أنَّها أميركيَّة من «العِرق المفضَّل».

من مارك برايدي، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠.٥٥ صباحًا

د. أبو خليل،

أنت معتوه يَنْبغي أن تُجرَّد من الحقوق التي كَفَلَها «التعديلُ الأوّل.» يجب ألاَّ يُسمَحَ لك بالحديث إلى أيِّ كان، أو بالنيابة عن أيِّ كان، ولا عن أيّ آراء سياسيَّة. بعد أن شاهدتُكَ اليوم على «أخبار فوكس» روَّعني أن أكتشفَ أنَّك تَحْمل شهادةَ دكتوراه وأنَّكَ معلِّم.

إذا كنتَ من نمط الأساتذة المنسجمين مع النظام الجامعيّ في كاليفورنيا، فسيتخلَّى كثيرٌ من الأهالي عن فرصةِ أن تقولِبَ أنتَ أو زملاؤك أولادَنا في المؤسَّسات التعليميَّة أو تشكِّلَهم أو تعلِّمَهم.

من الواضح أنَّك تتبنَّى أفكارًا تشذّ عن غالبيَّة الأميركيِّين. آمل أن يكون مكتبُ التحقيق الفدراليّ FBI يراقبكَ ويراقبُ كلَّ تحرُّكاتك. إذ لا يَبْدو أنَّك أهلٌ للثقة على تراب وطننا، ويبدو أنَّك متعاطفٌ مع بن لادن.

التوقيع: أميركيّ يعتقد أنَّكَ معتوه!

من پول جندرون، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠.٥٨ صباحًا

أُشاطر أصدقائي الرأيَ. أنت معتوه. حُلَّ عن بلادي، أيُّها القضيبُ الاصطناعيُّ المغطًّى رأسُهُ بمنشفة. أنت لستَ إلاَّ فاشلاً معاديًا للأميركان. أراهن أنَّكَ تكْره، ولكنَّكَ لا تمانع في نيلِ كلِّ فوائد حريّاتنا ومجتمعنا الشاطر. اِرجعْ إلى بلادكَ، يا فاشل.

أسعد أبو خليل: ارحلْ لأنَّك لست مع الغالبيّة!

من روبرت ر. كالمان، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠.٥٩ صباحًا

عزيزي السيد أسعد أبو خليل،

لقد سمعتُكَ للتوّ على محطة فوكس. أنتَ خنزير مَنْيُ... ويَنْبغي أن تُقطَعَ حنْجرتُكَ، وتغمَّسَ جثتُكَ بدهن لحم الخنزير، ثم تُقْرَمَ وتُطعَمَ للخنازير. والشيء نفسُه يجب أن يَحْدث لكلّ فرد في عائلتك. لماذا لا تتوقَّف عن أن تكون عالةً [طفيليّاً] على الولايات المتحدة، فتزحف عائدًا وتَلْتحق بعائلتك أيّاً يكن بيتُ الكلاب الذي انزلقتَ منه؟

من دان. كوپل، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١١.٣١ صباحًا

عزيزي د. أبو خليل،

لقد شاهدتُكَ على أخبار فوكس. أردتُ فقط أن أقول إنَّك حين تقول إنّ القوات الجويَّة الأميركيَّة «تَسْتَهْدف المدنيِّين» تَفْقد مصداقيَّتَكَ في أيّ نقاط صحيحة أخرى قد تَمْتلكها. عليكَ أن تكون حذرًا كأكاديميّ في استخدام الكلمات بدقّة. إنّ «استهداف المدنيِّين» يَعْني أنّ النيَّة الأساسيَّة هي قتل هؤلاء المدنيِّين. وبكلمات أخرى، هذا يَعْني أنّ القوات الجويَّة ستكون أَسْعَدَ إنْ سقطت القنابلُ حيث يوجد بَشَرٌ، ممّا لو كان هؤلاء قد غادروا المكانَ. لو كنتَ أكاديميّاً جديّاً بدلاً من دعاويٍّ لما كنتَ أسأتَ عمدًا استخدامَ فعل «تَسْتَهدَفُ.»

من دْجَفْ ثْنسْ، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٨.٣٣ مساءً

د. أبو خليل،

شاهدتُكَ للتوّ على محطة أخبار فوكس. لم أَحظَ بفائدة قراءة كتبك، ولذا لن أَسْتطيع أن أَحْكم إلاَّ بناءً على تصريحاتك. من الواضح أنَّك لا تَمْلك أيَّ فهم للجهد الحربيّ الذي تقوم به بلادُنا حاليّاً. يزعجني أنَّك تَضْطلع بتعليم أجيالنا الشابَّة. رجاءً تفضَّلْ علينا جميعًا، واسْتَقِلْ.

من هـ. ت. پَتِيْغرُو، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٢.٤٧ من بعد الظهر

أردتُ فقط أن أَرْميَ لك بملاحظة صغيرة أخبركَ فيها أنّني شاهدتُ مقابلتَكَ اليوم على أخبار فوكس. يَعْني، أنتَ لا يحقّ لك نقد حكومتنا بسبب أفعالها في هذه الحرب ولا بسبب أيّ شيء آخر. إنّ الحقّ في حريَّة التعبير في هذه البلاد قد اكتُسِبَ بدم الأميركيِّين. وأَعْتقد

أنّك لم تُسْهم أبدًا في أيّ عمل مفيد طوال حياتك كلّها. بل أنتَ، ببساطة، نقّاق. لماذا تعيش هنا؟ لماذا لا تعود إلى البلد اللّعين الذي جئتَ منه أيّاً كان؟ أقول لك: إذا لم تكن تحبّ الحالة هنا في الولايات المتحدة، ولا الطريقةَ التي نتصرّف بها، أَخْبِرْني. فسأكون أكثرَ من سعيد بأن أُرسل إليك تذكرةَ ذهاب من دون إياب إلى أيّ مكان في العالم تريد الذهابَ إليه لتَنْشر أفكارَكَ السخيفة.

أدناه اسمي وعنواني ورقم هاتفي. اِتصلْ بي. أَخْبِرْني أين تريد أن تَذْهب، وسأُرسل لك بطاقةَ السفر. رجاءً أن تستفيد من هذا العَرْض. إنّنا لا نريد أشخاصًا مثلكَ في هذا البلد!

٤١٥ غرينليف ستريت
لونغفيو، تكساس ٧٥٦٠٥
ت: ٠٩٠١ ـ ٧٥٩ ـ ٩٠٣

من تشارلز بويد، الثلاثاء ١٦ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٥.٣٧ صباحًا

الرئيس هيوي [رئيس الجامعة]،

أنا، ومعي آلافٌ آخرون شاهدوا الأخبارَ بعد ظهر الأحد الماضي، رأينا المقابلةَ والعرضَ لواحد من أساتذكم المشاركين، أسعد أبو خليل، الأستاذ المشارك في العلوم السياسيّة والإدارة العامّة.

ومع أنّه لم يَمْكث إلاّ قليلاً، وربما لم يستطع أن يُوضحَ كلّ النقاط التي أرادها، فقد استطاع مع ذلك أن يُقْرِفَني تمامًا بما قاله فعلاً.

إنّ زعمه أنّ أميركا تَسْتهدف شعبَ أفغانستان عبثٌ وكذبٌ. ورأيه أنّ على أميركا ألاّ تُعطي [الأفغانَ] مساعدةً إنسانيّةً عديمُ الرحمة.

وكانت وجهةُ نظره في كلّ مسألةٍ سُئِلَ عنها مناقِضةً لوجهة نظر رئيس البلاد وللغالبيّة الواسعة من مواطنيها. كما أنّ رسالته وأسلوبَه التخاطبيّ أغضبا المذيعَ الرئيسيّ على نحوٍ لم أره من قبل.

إنّ من حقّه أن يَمْتلك آراءً معارضةً، وأن يبدو بربريّاً راديكاليّاً على التلفزيون الأميركيّ أو في أيّ مكان آخر. ولكنّه لا يَمْتلك، في رأيي، حقّ تعليم هذه الآراء في الجامعة.

أُحسّ بالحرج نيابةً عنك، ونيابةً عن جامعة ولاية كاليفورنيا في ستانيسلوس، وأنا قلقٌ بشكل خاصٍّ على التلاميذ. لقد انتظرتُ نشرَ نصّ المقابلة على موقع الأخبار في شبكة الإنترنت أسوةً بالعشرات من النصوص الأخرى؛ ولكنْ يَبْدو أنّ القيّمين على الأخبار كانوا هم أيضًا مُحْرَجين.

إنّني أوصي بطَرْده فورًا.

من كيرستن شايد، ١٥ تشرين الأول، الساعة ٩.٢٩ صباحًا

عزيزي د. أبو خليل،

شكرًا لتذكيرنا مجدّدًا بما يَعْنيه النقاشُ لـ «الغالبيّة» السائدة في أميركا. واضحٌ أنّ بتيغرو لا يَدْري مطْلقًا كيف يبجّل أولئك الأميركانَ الذين ماتوا سعيًا وراء الحقوق المدنيّة، التي ليست أمرًا مسلّمًا به بالنسبة إلى أميركا أو إلى أيّ بلدٍ آخر على نحوِ ما كَتَبَ المؤرّخ إريك فونِرْ. هل أَعْرض تذكرةَ سفر على بَتيغرُو إلى أيّ مكان في العالم لأنّني لا أريده في أميركا؟ لا يُمْكنني أن أتصوّر أين أريده أن يكون، إذ مَنْ تُراه يجب أن يصابَ بمثل هذا الجهل الأهوج؟! أمّا بالنسبة إلى جندرون فمن اللافت عجزُه عن التعامل مع توكيداتكَ بطريقةٍ عقلانيّةٍ. بل إنّ حاجته إلى الشتم الجنسيّ تُظْهر مدى ضعف قدرته على استيعاب المعلومات، أو الإحاطةِ بمصادر معرفيّة أخرى قد يلجأ إليها بهدف النقاش. إذن أنت بحسبه «قضيب اصطناعيّ مغطًّى رأسُه بمنشفة»؟ أفَيَعْني هذا أنّ جندرون رأسُ قضيبٍ حقيقيٍّ لا غطاءَ عليه، أيْ رجلٌ قَزَّم نفسَه إلى فالوسٍ يُطَرْشق بكلماتٍ لا معنى لها؟ ومثلُه كالمان، ولكنّ هذا يَهْجس بالحيوانات. فهل يَكْشف مجازُه عن الخنازير التي تَأْكل لحمَ الخنازير أنّ «الغالبيّة» السائدة في أميركا تُؤْثر الكانيباليّة [أيْ أكلَ البشرِ بشرًا مثلَهم]؟ ثم إنّ من المحزن أن نلاحظ أنّ السيد برايدي الذي يصفكَ بـ «المعتوه» لا يَسْتطيع أن يركّب جملةً واحدةً صحيحة لغويّاً. ربّما يعودُ السببُ في ذلك إلى غضبه الشديد. أو ربّما هؤلاء الأربعة معًا يمثّلون حقّاً الغالبيّةَ السائدةَ في أميركا، أو «أحسنَ عالَم» بحسب رئيسهم غيرِ المنتَخَبِ حقّاً؛ وفي هذه الحال لن نَلْبَثَ أن نَسْمَعَ تحليلاتٍ في نشرات الأخبار الدوليّة عن «جذور غضب ذوي الأعناق الحمر»* إنْ كان لنا أن نتخيّل العناوينَ العريضةَ التي ستتعامل مع هذا الموضوع.

إنّ فكرة أنّ العرب في أميركا أجسامٌ طفيليّةٌ ليست فكرةً ملائمةً إذا أتت من أمّة بَنَتْ نَفْسَها من دماء مئات آلاف الأميركيّين الأصليّين [«الهنود الحمر»] المذبوحين والعبيدِ الأفارقة المنكَّلِ بهم تنكيلاً وحشيّاً. صحيح أنّ على مَنْ يريدون أن يتمتّعوا بالحريّة أن يواصلوا النضالَ من أجل حقوقهم يوميّاً، وأن يَبْقوا مشتعِلين بالرغبة في نيل هذه الحقوق. ولعلّ العربَ أو المهاجرين الجددَ لم يَفْعلوا ذلك جميعُهم بالعزيمة الكافية في الماضي (وكثيرٌ منهم هَرَبوا من «المستبدّين العادلين» الذين نصّبتهم أميركا في بلدانهم نفسِها). ولكنّني يا د. أبو خليل لن أُدْرِجكَ في صفوفِ أولئك العرب أو المهاجرين الجدد.

أَفَيكون ما حشده هؤلاء الرجالُ الأربعةُ هو أفضلَ دفاعٍ عن الحريّات؟ ولكنْ إذا كان على المرء لكي «يستحقّ» الحريّة أن يكون «رأسَ قضيبٍ حقيقيٍّ لا غطاءَ عليه،» أيْ رجلاً مَيْسورًا (وإنْ على عِلْمٍ قليل) ولا يُميَّز عن «الغالبيّة السائدة» في أميركا، فأيُّ نوعٍ من الحريّة هو هذا؟ إنّها ليست الحريّةَ المطْلقةَ، ولا المستمرّةَ؛ إنّها الحريّة التي تَخْدم الذاتَ فقط. أرجوكَ أن تواصِلَ تحدّيَكَ لهذه «الحريّة.»

المخلصة كيرستن شايد،

طالبة دكتوراه في جامعة برنستون،

تعيش حاليّاً في لبنان ـ بيتِ أرواحِ عشراتِ الآلاف من الضحايا الذين قَتَلهم السلاحُ الأميركيُّ من أجل «حريّاتنا ومجتمعنا الشاطر» كما يقول جندرون.

* ـ Rednecks: سكّانُ الجنوب البيض، الذين يتميّزون بأفكارهم الرجعيّة والعنصريّة. (م)

من هـ. ت. پتيغرو إلى كيرستن شايد

على الأقلّ كانت لديكِ الشجاعة في أن تجيبيني على رسالتي، وهذه نقطة أسجّلها لصالحك. ولكنّي ما أزال على «مبادئ الأعناق الحمر» [المحافظة]. ففي النهاية هذه هي المبادئ التي أَسَّستْ هذه الأمَّة، وشكرًا للّه على ذلك. كما قلتُ في رسالتي السابقة، لم تَخْدمي لا أنتِ ولا أسعد أبو خليل هذه الأمَّةَ، ولا ضحَّيْتُما بأيِّ شيء خدمةً لحريّة النقاش كما سمَّيتِها. ولِعِلْمِكِ، لديّ عدَّةُ أصدقاء عرب مقرَّبين ولكنَّهم ـ نقيضًا لكِ ـ يَحْترمون هذه الأمَّة ومبادئَ «الأعناق الحمر» فيها بحسب تسميتكِ.

إنَّ عَرْضي مازال قائمًا، بالنسبة إلى تذكرة الطيران لأسعد أبو خليل. والآن أوسِّع عرضي لأشملكِ أنتِ أيضًا! أمَّا بالنسبة إلى تذكرة طيران لي أنا كما ذكرتِ، فلستُ أنا مَنْ ينقّ ويَشْكو. وصدِّقيني، لو كنتُ مثلَكِ لكنتُ دفعتُ بنفسي ثمنَ سفري إلى مكانٍ أفضلَ أكثرَ من أميركا.

فتِّشي عن عملٍ مفيدٍ في حياتِكِ!

من پول جندرون في ١٥ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٨,٠٥ مساءً

عزيزتي كيرستن،

أنتِ برهان على أنَّ بإمكان المرء أن يتعلَّم بما يتجاوز ذكاءَه كثيرًا! لاحظتُ أنَّه كان عليكِ أن تَذْكري لقبَكِ «طالبة دكتوراه،» وكأنَّ هذا يَجْعلك بطريقةٍ ما خبيرةً في شيءٍ ما. أنتِ لستِ إلاَّ نموذجًا للطالب المحترف الذي لم تكن لديهِ وظيفةٌ حقيقيَّةٌ في حياته. والسبب في أنَّكِ في صفِّكِ آمنةٌ يعود إلى أنَّ هناك أشخاصًا مثلي يَدْفعون ثمنَ تعليمكِ وجنودًا يَحْمُونَكِ. فمن يَقْدر على ذلك يفعلْ، ومَنْ لا يَقْدرْ عليه يُعلِّمْ! وواضح أنَّك لا تَسْتطيعين شيئًا. أكانوا يضحكون عليكِ ويضايقونَكِ طوال حياتكِ، ولهذا تكرهين وطنَكِ إلى هذا الحدّ؟

من «تومي بوي» [اسم مستعار؟] في ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١١,٣٩ مساءً

أردتُ فقط أن أبعث إليكما [أبو خليل وشايد] رسالةً سريعةً وأقدِّم رأيي المتواضع. تلقيتُ لتوّي نسخةً من رسالة إلكترونيَّة تناقش قليلاً مسألة حقوق الناس وتتحدَّث عن مقابلةٍ أُجريتْ على التلفزيون. أولاً، أنا مواطن أميركيّ أَخْدم بلادي في صفوف القوات الجويَّة الأميركيَّة المسلّحة. وأنا أَخْدمها منذ ٨ سنوات، وسأواصل خدمتَها إلى أن أتقاعد. ثانيًا، لقد سئمتُ من الليبراليِّين في هذا البلد الذين لا يَفْعلون إلاَّ الجلوسَ والنقَّ عن حقوقهم وعمَّا على الآخرين أن يكون لهم من حقوق (وأضيف أنَّهم ليسوا حتى مواطني هذا البلد). معظم هؤلاء الليبراليِّين، مثلكما، لا يَنْبغي أن يكون لهم مجالٌ للكلام، لأنَّكما لم تفعلا شيئًا في حياتكما لتحسين الأوضاع التي تشكوان منها علنًا على هذا النحو. إذا لم يعجبْكما الوضعُ، افعلا شيئًا بنّاءً لتحسينه، أو ارحلا. إنَّ الأمر بهذه البساطة. حين تطوَّعتُ في الجيش تقبَّلتُ حقيقةَ أنَّني قد لا أَحْظى بحياة عائليَّة عظيمةٍ على الأرجح (لأنَّني أُنقل من مكاني أكثر من ستة شهور في السنة) وأَفْهم أنَّني لن أكون ميلونيرًا قطّ (فنحن لا يُدْفع لنا كثيرًا لأنَّ الليبراليِّين في هذه البلاد يَعْتقدون أنَّنا نتقاضى كثيرًا الآنَ!). لذا أخذًا لكلّ هذا بعين الاعتبار، لا أَفْهم كيف يَسْتطيع أناس مثلكما أن يَشْكوا من هذه البلاد. ماذا فعلتما؟ أيّ تضحيات قدّمتما إليها لكي تكون مكانًا أفضلَ يحيا فيه الجميعُ؟ في الحقيقة لا أريد أن أتعمَّق في الحديث عن هذا الأمر معكما لأنَّ عليكما على الأرجح أن تَحْضرا ندوةً ما أو شيئًا من هذا القبيل. وآخرُ ما أريد أن أدليَ به هو أنَّكما إذا كنتما تكرهان هذه البلادَ إلى ذلك الحدّ، فاقبضا على بندقيّة كلاشينكوف واذهبا إلى أفغانستان وانتظرانا. سنكون هناك قريبًا جدّاً لنتولَّى الأمورَ وجهًا لوجه!

من هـ. ت. پتيغرو إلى كيرستن شايد مجدَّدًا، ١٦ تشرين الأول ٢٠٠١

هاللو، كيرستن!

أَفْترضُ أنَّكِ أنثى. سؤال: لماذا لا يُجيب الدكتور أبو [هكذا] العظيم على بريده الإلكترونيّ بنفسه؟ أنا لم أوجِّه تعليقاتي إليكِ. ومع ذلك، إذا كنتِ من أَتْباع معتقداته البلهاء فلا يهمّني حقّاً إنْ شَغَلْتِ نفسَكِ بالردّ. وأَحْسب أنَّه يحتاج إلى بديلٍ جاهزٍ ليَكْتب مثلَ كتاباتكِ المعقّدة.

على كل حال، دعيني أفسِّرْ لك أمرًا، وأمل أن تكوني ذكيَّةً بما يَكْفي لفهمه. لقد جاء شعبُكِ،[1] فرُحِّب بهم بأذرع مفتوحة. واستَغَلَّ شعبُكِ كرمَنا ونظامَنا التعليميّ. وحين قام بعد ذلك إخوانُكِ بارتكاب جريمة شيطانيَّة بحقّ مدنيِّين أبرياء، دافعتِ عنها باسم دينِكِ.[2]

أتتساءلين لماذا يكرهكم الأميركان؟

أنا لا آتي إلى بلدكم، ثم أَطْلَع على التلفزيون، وأُخبركم وأُخبر حكومتَكم كيف يجب أن تسير الأمور. إنَّ شعبَكِ لن يُقدِّر ذلك، وربَّما سيحاولون أن يقتلوني. لديكِ الحقّ الشرعيّ في أن تقولي ما تشائين في الولايات المتحدة، ولكنْ ليس لديك الحقّ الأخلاقيّ في ذلك...

يومًا عظيمًا يا كيرستن. ولكنْ: إبقي حيث أنتِ!

من جون پيرس، في ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠١، الساعة ٥,٣٢ صباحًا

الأستاذ أسعد أبو [هكذا]

أنتَ لستَ مع بن لادن. وأنتَ لستَ مع الولايات المتحدة. ربّما عليكَ أن تفكِّر في خيار الانتقال إلى القمر. آه، نسيتُ: هناك عَلَمٌ للولايات المتحدة على القمر.

يومًا سعيدًا.

وليَحْمِ اللّهُ أميركا!

---

١ ـ٢ ـ واضح أنَّ السيد پتيغرو يظنّ أنَّ شايد عربيَّة مسلمة، لا أميركيَّة من دينه. (م)